تسطيح قضايا المرأة السعودية بدعوى تحريرها

سعوديات يُحلّقن فوق السحاب بعيداً عن حوار المتاجرة والمزايدات

على رغم النجاح الذي حقّقته المرأة السعودية على أكثر من صعيد، وعلى رغم ما تحقق لها من حضور اجتماعي، وما حظيت به من مناصب إدارية، وفرص ابتعاث وفرص عمل، وعلى رغم ما تحظى به من رعاية خاصة وسط أفراد عائلتها، ورفاهة على أعلى المستويات، إلا أن ثمة محاولات حثيثة من أكثر من جهة تستهدف بث حالة من عدم الرضا عن حال المرأة السعودية وأوضاعها، وتصدير صورتها إلى الداخل والخارج، بوصفها مضطهدة معتدى عليها منسحقة تحت هيمنة ذكورية طاغية في المجتمع السعودي، ويعتمد أصحاب هذه النظرة على تأويل كثير من الحدود الشرعية والعادات الاجتماعية في صورة حالات عدوان على حرية المرأة واستلاب لإرادتها.

سعوديات استثنائيات

وعلى ما يبدو أن ثمة سعوديات ألقين وراءهن كل تلك الأحاديث، وانطلقن يحرزن النجاحات تلو النجاحات، فقد برز التفوق السعودي العلمي على المستوى النسائي مؤخرا بشكل كبير، بعد حضور لافت للعالمة الدكتورة حياة سندي والبروفيسور غادة المطيري.

فحياة سندي اختيرت مؤخرا من بين أفضل ١٥ عالما ينتظر أن يغيّروا من وجه الأرض عن طريق أبحاثهم ومبتكراتهم العلمية في شتى المجالات، وجاء اختيارها بعد متابعة دقيقة لأبحاثها العلمية والإنسانية لمدة عشر سنوات، وتقديرا لإنجازاتها وأبحاثها، أما البروفيسور غادة المطيري، فتترأس مركز أبحاث في جامعة كاليفورنيا، ونالت أرفع جائزة للبحث العلمي في أميركا على اختراعها الذي وصفته بقولها: «التقنية الجديدة التي توصلت إليها تصلح كبديل للعمليات الجراحية في علاج بعض الأورام السرطانية دون تدخل جراحي، أو كتقنية لإدخال العلاج لمرضى السرطان، وبالتالي الاستغناء عن عمليات التدخل الجراحي والاستئصال».

وهناك أيضا الدكتورة هويدا القثامي صاحبة وسام الملك فيصل من الدرجة الرابعة، والاستشارية الأولى لجراحة القلب للأطفال في الشرق الأوسط، والثانية على مستوى العالم، حيث ظفرت بذلك من بين أول خمسين شخصية شهيرة على مستوى العالم، وصاحبة إنجازات فريدة، مثل كونها أول من دشن عمليات ربط الشريان الرئوي للأطفال ذوي العيوب الخلقية في القلب، وتخصصها فريد في مجال جراحات القلب للأطفال والرضع والخدج. وقد سبق أن اختيرت متحدثة رسمية في ١٧ مشاركة طبية دولية في مؤتمرات مختلفة في الكثير من دول العالم.

وعلى قائمة النبوغ نفسها، تقف عالمة سعودية أخرى هي ثريا التركي، وهي أستاذة بالجامعة الأميركية في القاهرة، تنقلت بين عدة جامعات منها جامعة هارفارد كعضو تدريس وجامعة لوس أنجلس وجامعة جورج واشنطن إلى جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ثم جامعة الملك سعود بالرياض، ومنها إلى أستاذة مرة أخرى في جامعة لبنان، لتعود مرة أخرى لتستقر في الجامعة الأميركية بالقاهرة. وهناك أيضا البروفيسور إيمان هباس المطيري التي حققت تفوقا كبيرا في أشهر الجامعات مثل (برستول) و(هارفارد)، ونالت الأستاذية في علم «الجينات»، وصولا لمراكز قيادية في شركة عالمية لإنتاج الأبحاث الحيوية في شيكاغو.

وهناك العالمة الدكتورة فاتن عبدالرحمن خورشيد أستاذ مشارك في قسم الأحياء الطبية بكلية الطب والعلوم الطبية، ومشرفة كرسي الزامل العلمي لأبحاث السرطان في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، تفوقت ببحوثها واختراعاتها «جزيئات متناهية الصغر في أبوال الإبل تهاجم الخلايا السرطانية»، والذي احتل المركز السادس من بين ٦٠٠ اختراع عالمي في كوالالمبور بماليزيا، حيث تم تسجيل عدة براءات لنفس الكرسي.

ومن الأسماء اللافتة أيضا الأميرة الدكتورة مشاعل بنت محمد آل سعود، التي تعتبر أول عالمة سعودية في الفضاء والاستشعار عن بعد، والمتخصصة في مجال الجيومورفولوجيا التطبيقية، وهناك أيضًا ريم الطويرقي أستاذة الفيزياء التي لها أكثر من حضور عالمي، وكذلك نورة أحمد رشاد صاحبة نظرية البتر الافتراضي للأطراف المصابة بالغرغرينا، وغيرهن كثيرات ممن لم يتم إبرازهن إعلاميا.

سعوديات

وعلى طريق هؤلاء العباقرة، تحث كثيرات من بنات المملكة السير وأعينهن على أفق العالم والتفوق والتميز والريادة، تقول الطالبة غالية ياسين باهديلة التي تتطلع للالتحاق بمجال الطب أو الفيزياء: «ما حصلت عليه من تشجيع من النادي وأسرتي جعلني أحب البحث عن المعلومة، فقد تعلمت أسسا جديدة في البحث العلمي، ولدي قدرات كافية لتحقيق ما أطمح إليه، واستغلال تلك القدرات للرفع من مستوى الأمة، ومساعدة مجتمعنا على الارتقاء والدخول في جميع المجالات مهما كانت صعوبتها، ومع أن قدرات الفتيات في السابق لم تكن ظاهرة، إلا أننا الآن نشارك في قضايا المجتمع، ونتطلع إلى خطوات أكبر للحصول على المراتب الأولى كسعوديات، وعلينا المحافظة على مستوياتنا العلمية».

وتتطلع الطالبة خلود جزاء الحارثي لاكتساب لغات عدة في مستقبلها المهني، ولديها طموحات قد لا تكون واقعية، لكن باستطاعتها كسعودية تحقيقها كأن تصبح رائدة فضاء. أما غادة عبدالرحمن الشهري (طالبة ثانوي عام) فتقول: «إن النادي العلمي الذي نلتحق به خدمنا وساعدنا على إخراج ما لدينا من إمكانات، وفتح أمامنا أبوابا واسعة لتحقيق أحلامنا باكتشاف الفضاء والوصول إلى القمر بالعلم والتفوق».

وتحلم الطالبة فاطمة عوض الزيلعي بالوصول لأعلى المستويات في مجال طب الأسنان، لقناعتها بأن الطموح ليست له حدود، وعلى الإنسان أن يقوم بكل ما يستطيعه للوصول إلى أهدافه.

وترغب أسرار علي باجودة (طالبة ثانوي عام) في التخصص بأمراض الدم بعد أن تدرس الطب، ولأن الطموح بعيد المدى تتطلع إلى توسيع المجالات في الفلك للمرأة، وتتمنى أن تكون نقطة تواصل بين الأمم، وأن يكون للمرأة السعودية دور في مسيرة السلام.

وتعبّر ندى زين العابدين (طالبة ثانوي عام) عن أمانيها بقولها: «نسعى نحن الفتيات للرقي بمجتمعنا، والتخصص مهما كان بسيطا له دور يجب ألا نستهين به، ولا بد من الاهتمام بالموهوبات والمتفوقات، لأن التشجيع يعطي دافعا للارتقاء بمستوى العلم في المملكة». وتوضح روان طارق يماني أن تنمية المواهب والمهارات مع التقدم العلمي مهمة ضرورية لتحقيق التوازن لدينا كأمهات ومربيات في أسرنا وفي مجالاتنا العملية، وهناك بعض المشاكل والمعوقات لا بد أن تتغير كالتفريق بين البنت والولد، مع أن الفتاة يمكنها التفوق في جميع مجالات الحياة العلمية، والمرأة قد تكون ناجحة وليست فاشلة كما يعتقد الكثيرون.

تسطيح

لكن ثمة من يسعى لتسطيح حضور المرأة السعودية، غاضا الطرف عما تحقق لها من منجزات، وما تسعى هي نفسها لتحقيقه في صمت بعيدا عن التهييج الإعلامي، وكأن بعضنا أصابه نوع من الإدمان على الركض خلف كل ما هو مثير أو كل ما يقتل به وقته، ظننا منه أنه يفعل شيئا مهما! ومن ذلك التسطيح الحديث عن موضوع قيادة المرأة للسيارة وكأنه أم القضايا، فلا يزال يطفو على السطح من حين للذي يليه، رغم ما توصلت إليه بعض الدراسات المعتبرة التي تشير إلى أن ما يتجاوز ٨٠ في المئة من السعوديات غير عابئات أصلا بهذه القضية.

ما يتجاوز ٨٠ في المئة من السعوديات غير عابئات أصلاً بقيادة المرأة للسيارة... وأكثرهن رافضات

ومن العجيب أن تحظى مثل هذه القضايا الفرعية التي لا تعبّر عن الاحتياجات الحقيقية للمرأة باهتمام الصحف الغربية، فقد تحدثت صحيفة «الجارديان» البريطانية عما سمته إرهاصات وتغييرات في المجتمع السعودي، تكشف أن المرأة السعودية أصبحت أقرب إلى قيادة السيارة الآن من أي وقت مضى بحسب الصحيفة.

ونقلت الصحيفة عن مديرة برامج المرأة في مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي ايزابيل كولمان قولها: «إن التغيير في السعودية أصبح أكثر احتمالا، وخاصة مع التسامح الذي يبديه الرأي العام السعودي الآن تجاه هذه القضية»، وتأكيدها بأن مجلس الشورى السعودي يؤيد رفع الحظر عن قيادة المرأة للسيارة على حد قولها.

وتقول الصحيفة: «لم يكن هناك قرار صريح يمنع النساء من القيادة، بل كان الأمر جزءا من العادات والتقاليد والعرف في المجتمع السعودي».

وتضيف الصحيفة: «كشفت دراسة عام ٢٠٠٤ أن ٤٧ ٪ من النساء السعوديات يمتلكن سيارات، ولكن عليهن الاعتماد إما على الزوج أو الأخ أو الأب أو استئجار سائق أجنبي، وهو ما يسبب الكثير من المعاناة».

وتحدثت الصحيفة عما سمته علامات أخرى تدل على تغيير تدريجي يقترب بالمرأة من عجلة القيادة. ففي عام ٢٠٠٨ تصدرت أنباء السماح للنساء بالقيادة عناوين الصحف المحلية والدولية، وهو ما سمح للحكومة السعودية بقياس رد الفعل، كما اقتربت النساء من الوقوف كمحاميات أمام المحاكم السعودية، وهناك نحو ٣ آلاف امرأة سعودية يقدن سياراتهن في تجمعات شركة أرامكو السعودية، كل هذه الظروف ستؤدي إلى التزايد في أعداد السعوديات العاملات، ما يجعل من الضروري رفع هذا الحظر.

وتضيف الصحيفة: «ربما يبدأ الأمر بالتساؤل أولا عن بعض المحظورات من قبيل تحديد أماكن معينة وأوقات معينة للمرأة، حتى يعتاد المجتمع على هذا التغيير». ويبقى السؤال ما حجم أهمية تدويل قضية لا تعبأ بها معظم السعوديات على هذا النحو؟

رفض للتسطيح

تقول الكاتبة مشاعل العيسى: «لماذا تم حصر إصلاح المرأة في قيادة السيارة، وفي تولي المناصب السياسية الوطنية؟ هل في قيادة المرأة للسيارة إصلاحها الحقيقي؟ هل تظنون أن المرأة السعودية تافهة لهذه الدرجة التي تجعلها تترك مجالات كثيرة للإصلاح الحقيقي وتلجأ للإصلاح الموهوم؟ هل تعتقدون أن خروجها المتكرر من المنزل وقيامها بعمل الرجل مندوبا مستحب في الإسلام؟ ألا يتعارض مع أوامر الله ورسوله، وهي غض البصر والبقاء في البيت، ورعاية الزوج والأولاد والقيام أعمال المنزل، بل والأهم الحمل وإنجاب الأطفال وإرضاعهم وتربيتهم، أليست هذه هي الوظائف الحقيقية التي حري بالمسلمة أن تقوم بها لأنها عملها الأصلي؟ ما بالهم اليوم ينسون كل أعمالها الحقيقية والأصلية، ويريدون لها ما لا يتناسب مع طبيعتها؟ ما هذا الانتكاس في الفطرة؟ المرأة تخرج أو أن تعمل عمل الرجال وتحتل مثل مناصبهم والرجل يبقى، أو كلاهما يخرج والأولاد يبقون، أو كلهم يخرجون ولا يبقى أحد، فمن الذي يحمي البيت؟».

وتضيف العيسى: «دعونا نحل قضية المسكينة التي يجبرها والدها على أن تتزوّج رجلا كبيرا بالسن، لأنه غني فيقضي على زهرة شبابها، أو ذلك الأب الذي يرفض تزويج بناته ويسلمهن للعنوسة، لأنه يخاف على ذهاب رواتبهن للغريب؟ وهل أخبركم عن المآسي التي قد تعيشها الأم عند زوجة ابن لا تخاف الله فيها، أم عن تلك التي دار العجزة عندها أهون عليها من أن تلقى في غرفة صغيرة خارج المنزل الملحق، وتعطى طعامها كالخادمة، دعونا نحل قضية هذه المسكينة التي ترى زوجها وهو يخونها، وترى من زوجها الفسق والفساد والكراهية، ويرفض أن يطلقها ويعلقها، فيتركها لا متزوجة ولا مطلقة، حتى إذا فقدت الأمل في العوض وكبرت ولم تعد تصلح للزواج طلقها بكل نذالة وخسة، وتلك التي إن كرهها ضيق عليها وآذاها، حتى تمل وتطلب هي الطلاق ليأخذ العوض (المهر)، وتكد وتكدح حتى توفر ما تفتدي به نفسها ويخلصها من أذاه، أو تلك التي منيت بزوج يعاقر الخمرة ويشم المخدر ويضربها ويطردها من بيتها في منتصف الليل، أو تلك المسكينة التي مات زوجها، وأبناؤها صغار قصر، وأهل زوجي أكلوا مالها ومال زوجها المتوفى، أم تلك المطلقة التي تحمل معها لبيت أهلها أطفال، لا ينفق عليهم أبوهم، ويظلون عالة على أهلها».

مشاعل العيسى: اللواتي يتحدثن عن القيادة يعشن في الخارج ويقدن السيارة ولا أحد يمنعهن

وتختم العيسى: «الغريب في الأمر حقا أن اللواتي يتحدثن عن القيادة، ويعتبرن أننا محرومات من شقائها، يعشن في الخارج ويقدن السيارة، ولا أحد يمنعهن فأي حرية يطلبنها؟ هل هي حريتنا نحن؟ من سمح لهن بالتحدث بدلا منا؟ أليست عندنا جرأة وقدرة على الكتابة، ولكن الذي ليس لدينا هو عقدة التقليد الأعمى».

مكتب الرشيد للمترجمين
تأسيس وإدارة أحمد الرشيد
monasabat مناسبات